ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

فلسفة الدّين والاغتراب عند إيريك فروم

Erich Fromm's Philosophy of Religion and Alienation

د. علي عليوة

جامعة سوق أهراس(الجزائر)، a.alioua@univ-soukahras.dz

تاريخ الإستلام: 05/ 05 / 2021 **تاريخ القبول**: 09/ 12 / 2021 **تاريخ النشر**: 30/ 12 / 2021

ملخص:

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثيّة أن نسلّط الضوء على فلسفة إيريك فروم للدّين، هذا الفيلسوف النّاقد الذّي مزج بين الفكر الفريدي والفكر الماركسي، وأعطى قراءة مُعاصرة للأديان، رفض فيها النّزعة البيولوجيّة لسيغموند فرويد و كذلك النّزعة الجنسيّة، وأدرك أن التحليل النفسي بحاجة إلى جهود مفكرين وفلاسفة .

كما حاولنا الغوص في تفاصيل ورؤى إيريك فروم حول الدّين، ماهيته ، أشكاله، وأنواعه، وناقشنا فكرة الدّين التسلطي والدّين الإنساني، وتعرضنا إلى مسألة الاغتراب ، والتي تُعتبر فكرة جوهريّة عند فروم، اقتبسها من الفكر الماركسي وأسقط عليها فكرة التحليل النفسي ليُعطي بذلك صورة مُعاصرة للدين، يتشكّل فيها الطوطم آلة أو شخصا أو تنظيما، ويُصبح فيها الإنسان سلعة يغترب عن ما يصنعه، في فكرة نقديّة للمجتمعات المُعاصرة.

الكلمات المفتاحية: إيريك فروم؛ فلسفة الدّين؛ الاغتراب؛ التحليل النّفسي؛ الدّين التسلطي؛ الدّين الإنساني.

***

Abstract:

We tried through this research paper to shed light on Eric Fromm's philosophy of religion, this critical philosopher who blended the singular thought with Marxist thought, and gave a contemporary reading of religions, in which he rejected the biological tendency of Sigmund Freud and sexualism, and realized that psychoanalysis needs the efforts of thinkers and philosophers.

We also tried to dive into the details and visions of Eric Fromm about religion, what it is, its forms, and its types, and we discussed the idea of authoritarian religion and human religion, and we discussed the issue of alienation, which is considered a fundamental idea by Fromm, he borrowed it from Marxist thought and dropped the idea of psychoanalysis to give a contemporary picture of religion, In it the totem is formed as a machine, a person, or an organization, and in it man becomes a commodity that estranges from what he makes, in a critical idea of contemporary societies.

Keywords: *Eric Fromm; The philosophy of religion; Alienation; Psychoanalysis; Obsessive debt; The human debt.*

مقدمة

إنّ الكلام عن الدّين بكل مكوّناته العباديّة والطقوسيّة لا يُمكن أن يُدرس كظاهرة مفصولة عن تاريخه الإنساني، هذا التاريخ الدّيني الطويل الذّي تغيّرت فيه الأديان وفقا للمتغيّرات المحيطة بها، مُتغيّرات ظهوره في الحياة الإنسانيّة، ومتغيّرات تأصُّله في المجتمعات كطقس اجتماعي، ومتغيّرات تطوّره وكيفيّة تأثيره على الأفراد والجماعات.

كان الدّين ومازال حقلا ثريا للدّراسات الفلسفيّة التي حاولت أن تتكلّم عن جوهر الدّين والموت والحياة والوجود، وكل ما يتعلّق بالطّقوس والعبادات والآلهة وتاريخها، ثمّ بدأت الدّراسات الأنثروبولوجيّة للأديان- كون الدّين ظاهرة إنسانية بامتياز- ولازمت الإنسان أينما حل وأينما عاش، ثمّ بدأت الدراسات السوسيولوجيّة في الكشف عن تأثير الدّين على الأفراد والجماعات وقراءة الواقع الاجتماعي من خلال الممارسات الطقوسيّة والعبادات والتماسك الاجتماعي، وفي نفس الوقت كانت هناك دراسات نفسيّة وعصبيّة قد انطلقت لدراسة الدّين خاصة من خلال التحليل النّفسي.

ويُعتبر فروم من أهم المفكرين الماركسيين الذّين أسهموا في نقد المدنيّة المعاصرة وبيان زيف أسسها التي قامت عليها، وهو عالم نفس وناقد اجتماعي ومفكر إنساني ألماني معاصر، له العديد من المؤلفات الرصينة المرتبطة بقضايا الإنسان من قبيل "الإنسان من أجل ذاته" و"المجتمع السليم" و"الهروب من الحرية" و "فن الوجود" و "فن الحب".

وسنحاول في هذا المقال أن نسلّط الضوء على فلسفة الدّين والاغتراب عند إيريك فروم، من أصحاب النظريّة النقديّة الاجتماعيّة ومن أتباع مدرسة فرانكفورت الذّين جاءوا رافضين لكل ما هو وضعي.

1. من هو إيريك فروم:

Erich Pinchas Fromm عالم اجتماع ومحلّل نفسي أمريكي من أصول ألمانيّة، مثّل مع تيودور أدورنو Theodor Adorno وهاربارت ماركوز Herbert Marcuse وآخرون، مثّلوا مدرسة فرانفورت، وُلد اريك فروم Erich Fromm في عائلة يهوديّة أرثوذكسيّة في 23 مارس 1900 في مدينة فرانفورت الألمانيّة، التحق بالمدرسة الوطنية في فرانكفوت حيث درس جميع مواد التعليم العام آنذاك بالإضافة إلى مبادئ العقيدة والتقاليد الدّينية، وبعد تخرّجه في عام 1918 التحق فروم بجامعة هايدلبورغ حيث درس الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النّفس، حيث كان وحيد والديه اللذان كانا يحبذان أن يصبح حاخاما يهوديا، وفي سنة 1922 تحت تأطير أستاذه السوسيولوجي الشّهير ألفريد ويبر Alfred Weber أتمّ أطروحة الدكتوراه كما أتمّ تدريبه في التحليل النفسي في معهد التحليل النفسي في برلين أين تعرّف على كارين هورني Karen Horney التي ساعدته بعد ذلك ليُصبح أستاذا في شيكاغو.

افتتح اريك فروم عيادته الخاصة في التحليل النّفسي في سنة 1925 حيث كان محلّلا نفسيا نشطا وبارعا لمدّة فاقت 35 سنة، هذه الخبرة وتواصله مع المرضى أعطت فروم مادة غنيّة لإعادة النظر في العلاقة بين البيولوجيا والسوسيولوجيا في تكوين النفس البشرية، كما أجرى تحليلا للمواد التجريبيّة خلال عمله في معهد البحوث الاجتماعيّة في فرانكفورت، وتزوّج من أستاذته رايخمان Railhman سنة 1929.

بعد وصول هتلر إلى السلطة في سنة 1933 انتقل فروم إلى جنيف ثمّ إلى نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1934 حيث كان يقوم بإعادة النّظر في نظريّة التحليل النفسي لسيغموند فرويد ليستخلص في الأخير بديلا سماهُ "العلاقة النّمطية"، درّس في جامعة كولومبيا، حيث ساهم في تشكيل مدرسة واشنطن للطب النفسي في عام 1943 أين بدأت تظهر كتاباته باللغة الانجليزية بعدما كان مقتصرا على الألمانيّة فقط، وفي عام 1946 شارك في تأسيس معهد ويليام ألنسون وايت للطّب النفسي.

أنتقل فروم إلى مدينة مكسيكو سنة 1950 حيث درّس في الجامعة الوطنيّة المستقلة في المكسيك حتى 1965، وأثناء وجوده هناك كرّس وقته لدراسة العصر الجديد ودراسة المشاريع الاجتماعيّة في الماضي والحاضر، نشر كتابا بعنوان "مجتمع صحّي" وانتقد فيه النظام الرأسمالي.

ومن أعماله :الهروب من الحرية (1941)(Erich Fromm, 2011) التحليل النفسى والدّين (1950)، اللغة المنسية : مدخل إلى فهم الأحلام والقصص الخيالية والأساطير (1951)، المجتمع العاقل (1955)، رسالة سيجموند فرويد : تحليل لشخصيته وتأثيره (1959)، أزمة التحليل النفسي : مقالات عن فرويد وماركس وعلم النفس الاجتماعي (1970)، تشريح نزوع الإنسان إلى التدمير (1973).

ايريك فروم من أصحاب النظرية النقدية الاجتماعية ومن أتباع مدرسة فرانكفورت بعد هوركهيمر وماركيوز وغيرهم جاءوا رافضين ما هو وضعي أي عدم قبول المذهب الوضعي ومذهبهم كان نقدي، توفي فروم على اثر وعكة صحيّة ومشاكل في القلب في سويسرا ودفن في مدينة بلينزونا (حميد لشهب 2003، ص08).

2. ماهية الدّين عند فروم:

درس فروم الدّين كظاهرة إنسانية تاريخيّة ارتبطت بسلوك الجماعة واشتراكها في توجّه ما، سواء كان دينا قديما كالبوذيّة أو الكنفوشيوسيّة أو الطاويّة أو الديانات التوحيديّة، وصولا إلى الديانات والتوجّهات المُعاصرة التسلّطية التي أشار لها سقراط وسبينوزا، لذلك فالدّين عند فروم هو كل مذهب للفكر والعمل تشترك فيه جماعة ما، ويعطى الفرد إطار للتوجيه وموضوعا للعبادة وعرفه أيضا بأنه "نظام من الفكر و العمل تشارك فيه مجموعة و يعطي للفرد إطاراً للتوجه و موضوعاً للإخلاص"(إيريك فروم، 2012، ص87.)، فهذا للتعريف للدّين يُعطي انطباعا على حاجة الوجود الإنساني للدّين، رغم أنّ فروم تأثر بفرويد وأعتبر الدّين "عُصاب جماعي" ناتج عن ضعف الإنسان وفشل عقله في مواجهة وتفسير القوى الغريزيّة التي بداخله، فيعمد للتّغلب عليها من خلال "العواطف المضادة" وهو ما سيؤدي حتما إلى الوهم.

اعترف "فروم" أن أي مناقشة للدين من حيث أنّ "الدّين" كمصطلح وكمفهوم تصطدم بحائط من التأويلات، لأنه ببساطة الآراء كثيرة، والتصورات غير المنتهية في هذا المفهوم، الذّي بكل الأحوال يصعب تعميمهُ. فهناك أديان توحيدية وأديان متعددة الآلهة... الخ، فكلٌ قدم مفهومهِ الخاص لهذا المصطلح حسب حضارتهِ وثقافتهِ والمجتمع الذّي يتطور دائما في كل مفهوم يقدمهُ أو يتفق عليهِ، فلكل فترة فحواها من المصطلحات والمفاهيم خاصةً إن كانت دينية. فذهب "فروم" إلى أن يقدم تعريفاً لهذا المفهوم، ويعممه، وحاول مسك العصا التي بحوزتهِ من الوسط، حيث سحب هذا المفهوم من بين المطرقة والسندان، فقد حاول "فروم" أن يُقدّم تعريفا للدّين بقوله: "أي مذهب للفكر والعمل تشترك فيهِ جماعة ما ويعطي للفرد إطاراً للتوجيه وموضوعاً للعبادة"(دنخا عبدالاحد جولا، 2010).

3. أشكال الدّين عند فروم: لقد رافق الدّين الإنسان مُنذ بدأ التفكير في الوُجود وفي التنظيم الاجتماعي بكل أشكاله، فامتلاك العقل والتخيّل هو ما جعل هذا الإنسان حيواناً متديّنا يعي ذاته ويمتلك فكرة السخط والغضب من طرده من الجنّة، وفقدان تلاحمهُ مع الطّبيعة، وأصبح بحاجة ماسّة لفهم كينونته ووجوده فحاول خلق صور وطقوس وعبادات لسدّ فراغ نفسي وحيرة وجوديّة تلازمهُ دوما، لذلك يرى إريك فروم أن هذه الحاجة ليس للإنسان حرية في اختيارها، إنما حرّيته في اختيار طبيعتها؛ فكل مجتمع له "مثل عليا" معينة، وأنَّ علينا أن نحكم على هذه الحاجة وفق ما تنطوي عليه من حقيقة وأنها تؤدّي إلى توازن وانسجام في عالم الإنسان (إريك فروم،2008، ص25)، ولأن الإنسان ابتعد عن هذه الطبيعة فأنه افتقد القدرة على مجابهتها، فنجم عن ذلك محاولته لتكوين علاقات نفسية جديدة تحل محل العلاقات القديمة، فالتجأ إلى تكوين هذه العلاقات الجديدة مع الناس، أرادها أن تكون قائمة على المحبة وتبادل الرعاية والمسؤولية والاحترام. ويرى فروم أن الإنسان حين بدأ يبتعد عن الطبيعة حاول إيجاد طرائق تربطه بها، فعمد الناس

القدامى إلى الانتماء إلى مجموعات تربطها أساطير وطقوس وعبادة أشياء أو ظواهر طبيعية مثل الشمس والقمر والنار والبرق، (قاسم حسين صالح، سيكولوجيا الدّين عند اريك فروم، 2016) لذلك ابتكر الإنسان أشكالا للتعبير عن الدّين كانت في الأغلب على شكل: (حسين جبار، 2018، ص 115)

1.3- عبادة السّلف: عبادة السّلف عبادة تكاد تكون موجودة في كل العقائد والملل، يفتخر معتنقوها بتتبّعهم للأسلاف في ذلك الدّين ويتّبعون كل المظاهر التي كان السلف يفعلها بطقوسها ولباسها وكلامها، وهي حالة من التعلق العُصابي بالأب والأم، والأجداد عموما، "وهذه الحالة من مركزة حياة الفرد حول السّلف، وبذل كل طاقته في عبادته"(إيريك فروم ، 2012، ص95)، حيث يرى أنها «إحدى أوسع العبادات البدائية انتشارًا في مجتمعنا وهي لا تبدِّل صورتها إذا دعوناها(عبد الجليل، أحمد، 2016، 112).

2.3- الطوطميّة: إن الطوطم الدّيني عند فروم يختلف عن غيره من المستخدمين لهذا المفهوم، فهو يوسّع المفهوم ليشتمل على كل الأشياء التي يتعلّق بها الأفراد ويولونها اهتماما كبيرا لتصبح طوطما، فالفرد يُمكن أن يعتبر الدولة طوطما أو أن يعتبره حزبا سياسيا، و يرى كذلك أنه إذا أردنا أن نفهم كيف نجحت أنظمة مثل الفاشية و الستالينية في أن تتملك الملايين من الناس، المستعدين للتضحية من أجلها، فعلينا أن ندرس الخصيصة الدّينية، الطوطمية في توجههم"(إيريك فروم ، 2012، ص97).

لذلك فالطوطميّة عند إيريك فروم أخذت قالبا مغايرا للطوطميّة التقليدية التي تكلّم عنها دوركايم وسيغموند فرويد وغيرهم، وأعطاها مفهوما جديدا استطاع إسقاط الطوطم على الآلة والحزب والأشخاص وحتى الأفكار، فالجماعة التي تتبع فكرة وتُدافع عنها بقوة قد خلقت طوطما دينيا مُعاصرا.

3.3- ديانة التشدّد في النظافة: قد تتجاوز الطقوس الدّينيّة بعض الطقوس الطبيعيّة لتصبح متشدّدة ومرضية في ممارستها والاهتمام المبالغ فيها، مثل النظافة والتشدّد في النظافة "وهذا الدّين القائم على التشدد في النظافة والترتيب لا يختلف كثيراً في الجوهر، عن بعض الأنظمة الدّينية المفرطة في الطقوس التي تتمحور حول محاولة التخلص من الشر بطقوس النظافة و العثور على الأمن في الإنجاز الصارم للترتيب النفسي"(إيريك فروم ، 2012، ص97)،

4.3- الدّين الصناعي: لقد فرض المُجتمع الصناعي نمطا من التعاملات والسلوكات التي أهملت الإنسان وتوجهت للآلة، هذا الدّين أو التوجّه بحسب المفهوم الذّي ضبطه فروم، جعل الفرد يستدعي إيمانه القديم ويُسقطهُ على واقعه المُعاصر لتعود الوثنيّة في شكلها المُعاصر في صورة جديدة، في آلة أو تنظيم، حيث يُعرّف فروم الوثنيّة بأنها ليست الإيمان بالآلهة المُتعدّدة أو تقديم القرابين، لكن هي عبادة ما نصنع، فكانت الوثنيّة القديمة تصنع الآلهة لتعبُدها، ويصنع الإنسان الآلة ليهبها أحلامهُ وعواطفهُ، "إن الإنسان كان يريد أن يُصبح ألها، فما كان بإمكان الله أن يصنعه أضحى بإمكان الإنسان أن يصنعه أيضا" (ايريك فروم، 2003، ص 94.)

5.3- دين التحكم التقني: مثلما خلق الإنسان المُعاصر طوطما مغايرا للطوطم الكلاسيكي، وخلق ديناً صناعيا أصبح هو أيضا جزءا من هذه المنظومة، التي "ترتكز على ممارسة النفس كسلعة، حيث يصبح الكائن الحي بضاعة تباع في سوق الشخصية، قيمته بقيمة البضاعة، و على نوعية البضاعة يتوقف البيع و الشراء" (David, S, 2012, P 36)، "قد جعلنا من الآلة إلهاً خضعنا له، و ظننا بأننا أصبحنا آلهة قادرين على كل شيء بالعلم و التقنية، لكن الواقع أثبت أننا صرنا عبيداً عاجزين عن كل شيء".

4. أنواع الدّين عند فروم:

1.4- الدّين التسلّطي: ينطلق الدّين التسلطي عند فروم من مبدأ وجود سلطة عليا خارج النفس البشرية، "تمارس هذه السلطة السيطرة وتوجب الطاعة والإجلال والعبادة"(إيريك فروم، 2010، ص101)، وترتكز هذه "السلطة على الانقياد لسلطة تتجاوز الإنسان، ويعتمد الدّين التسلطي على فكرة الطاعة المطلقة كفكرة

جوهرية كما هو موضّح بشكل جيّد في تعريف معجم أكسفورد للدين، "الدّين هو اعتراف الإنسان بقوة عُليا غير منظورة، تتحكم في مصيره ولها عليه حق التبجيل، والطاعة، والعبادة"، وكل عدم طاعة أو امتثال يُصنّف في حانة التمرّد والإثم الأكبر"(إيريك فروم ، 2008، ص74)، فالطاعة المطلقة في الدّين التسلطي هي الفضيلة، والعصيان والتمرد هو الخطيئة دوما والتي تحذّر منها الأديان التسلطية باستمرار وتحث على الطاعة دون قيود ولا شروط ولا أسئلة حتى، كما أنّ هذه النزعة التسلطيّة للدّين تحتقر كل شيء في الإنسان وتزيح العقل جانبا لأنّه فقير ومحدود فالإله في الدّين التسلطي عالم عارف قادر مطّلع بكل الخبايا هو الذّي يفكّر ويدبّر ويعلم أمام الإنسان العاجز الذّي يسلّم نفسه لهذا الإله وأوامره، وبذلك يفقد الإنسان ذاته ويفقد ما يصفه فروم "العقل والحب" ويدخل في حالة اغتراب عن ذاته.

يُمكن أن يكون الدّين التسلطيّ دُنيوي، تكون فيه النزعة الجماعيّة لفكرة مُعيّنة أو شخصيّة محبوبة أو الدولة موضوعا للعبادة، ويشتدّ العُصاب الدّيني إلى ذروته كلما زادت الطقوس الجماعيّة هيجانا في ترديد الشعارات الثورية أو الفكريّة أو أي نوع من الصور، فتصل الروح المعنويّة لأقصى درجاتها وتفرض الوصاية على أفرادها، وتدخل عمليّة التصنيف والتأليه والتكفير والعداوة لكل غير مشارك.

لقد حاول الإنسان تكرارا ومرارا كسر التسلّط الدّيني واللاهوتي، في محاولات لم ينل منها اليأس ولا المحاولات الكثيرة، والتي تعتبرها الأساطير الدّينية تمرّدا وخطيئة عظيمة لا تُغتفر، هذا التمرّد هو محاولة منه لمعرفة قدراته وأن يعيش وعيه هو لا وعي الإله أو غيره، "فكان الإنسان يعيش كالحيوان من دون وعي لذاته، وفي فعل عدم طاعة الإله، ولنقل في إمكانية قول "لا"، وعى الإنسان نفسه وخطا خطوته الأولى في الحريّة ... فقد تكسّر الانسجام الأصلي للإنسان مع الطّبيعة وطرد من الجنّة وقاومه ملكان من نار لكي لا يعود إليها"(إيريك فروم، 2008، ص74).

ويمكن أيضا أن يكون الدّين التسلطي ذكوريا، "يوجد في الشخصية الاجتماعية الجديدة، ومحوره الخوف من سلطة الذكور القوية و الإحساس بالذنب تجاه المعصية و حل روابط التضامن الإنساني بالاهتمام بتفوق الذات و تبادل العداوة"(إيريك فروم ، 2012، ص97)، لذلك تُصبح الذكوريّة دينا يتبناه المُجتمع ويفرضه الذكور وتخضع له الإناث.

2.4- الدّين الإنساني: من خلال التسمية فهو دين محوره الإنسان والإنسانية، وجوهره "الإنسان وطاقاته وقدراته"(إيريك فروم، 2012، ص87.)، وعليه أن حقيقة وعيه هو لا وعي غيره، وأن يقوي إمكاناته وحدود علاقاته بغيره من النّاس، بحيث يستطيع الإنسان تحقيق ذاته وتحقيق قوته ولا يدخل في حالة الاغتراب، ففي الأديان الإنسانية يبقى العقل والحب ملكا للإنسان، بهما يُصبح كاملا ويُجسّد صورة الإله على الأرض في صفاته ويُحاول أن يماثلها، بينما في الدّين التسلط فهو يُسلم ذلك الإله وتبقى الطاعة والإذعان واجبتان، وقد وصف فروم الديانة البوذية المُبكرة والطّاوية وتعاليم المسيح وفكر سقراط وسبينوزا وبعض الاتجاهات في الديانة اليهودية وخاصة التصوفيّة، ويُمكن أن نضيف هنا التصوّف الإسلامي ...

لذلك يعتقد فروم أن الدّين الحقيقي هو الذّي يُقدّس الإنسان ويُعطيه قيمة واعتبارا كبيران كون الإنسان هو الكائن الوحيد العاقل والفاعل، وأيُ معنى للوجود أصلا دون قداسة للإنسان، ذلك الإنسان الذّي يسعى دوما للكشف عن قدراته وملكاته بعيدا عن الاغتراب، هذا البحث عن القيم عن طريق البحث في الأديان عن إنسان متكامل يتعايش مع غيره ضمن اطر أخلاقيّة أو عقود اجتماعيّة "والحق أنّه بهذا المفهوم الواسع للكلمة لم توجد حضارة في الماضي ولا الحاضر، ويبدو أنه لن توجد في المستقبل حضارة يمكن اعتبارها بلا دين"(ايرك فروم، 1989، ص 134)، في إشارة منهُ أن الدّين الذّي يَخدمُ الإنسان ويقوي من وجوده وكينونته وقناعاته، والحفاظ على إنسانيته مقابل الكم الهائل من المتغيرات المحيطة به والتي تحوّل وعيه من وعي الإنسان إلى وعي الآلة.

5. الاغتراب عند إيريك فروم: مفهوم الاغتراب مفهوم فرض نفسه بكثرة لدى الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع وغيرها من العلوم، ذاك المفهوم الذّي تطوّر مع تطوّر الحياة الاجتماعية وظهور المجتمع الحداثي، لذلك يوصف فيه الإنسان بأنّه مُغترب عن المتغيّرات المحيطة والمؤثرة فيه، فهو فقدان الذّات وحالات القلق والانتحار واليأس، واستلاب الشخصيّة واقتلاع الجذور واللامبالاة والوحدة وفقدان المعنى والتشاؤم وفقدان القيم والمعتقدات، وأنّ دائرة "المغتربين" حسب فروم تتسع في استخدامها الحديث لتشمل النساء وعمال المصانع والفنّانين والمضطربين عقليا والمدمنين والمسنّين، والمراهقين بشكل عام.

لقد حاول فروم تتبع مظاهر انحراف الحضارة الغربية المعاصرة عن المسار الصحيح، حيث جعلت من المادة والاستهلاك وعبادة القوة مقياسا للتقدم والتحضر، وكذا وضعها للإنسان في حالة صراع دائم مع الطبيعة ومع نفسه؛ مع الطبيعة عندما اتجهت نحو تكريس السيطرة عليها بالتكنولوجيا المخربة والمدمرة وتوظيف إمكانياتها بطريقة أنانية غير رشيدة وبغير وازع أخلاقي، ومع نفسه عندما ضخّمت فيه مظاهر الجشع والحقد والكراهية وعبادة المال بغير حدود؛ أي عندما صنعت منه إنسانا متمركزا حول ذاته وفي شوق وتطلع دائم إلى الكسب والتملك والادّخار، وهذا ما جعله يعيش في حالة من (الاغتراب) الوجودي الذّي كان من وراء تطرق كل مظاهر اليأس والسلبية إلى حياته (كرومي، عبد الحكيم، 2015، ص12)

لذلك يرى فروم أن مشكلة الإنسان المعاصر الرئيسيّة هي الاغتراب، حيث أن المجتمعات الرأسماليّة وجشع الشركات المهيمنة جعلت من الإنسان نموذجا لمشروع، فحياته هي رأس ماله ونجاح حياته يرتبط برأس ماله وكيفية تطويره، ويدخل في مرحلة التشيؤ، فكل ما يصنعه الإنسان من أشياء تصبح جزءا منه وتُصبح قيمة الإنسان في الأشياء التي يصنعها أو يمتلكها وبذلك فقيمة الإنسان بقيمة الأشياء وقابليته للبيع، ليست الأشياء الملموسة فقط بل الأفكار والقيم، حيث مات الإنسان روحيا حسب فروم وأضحى آلة مستهلِكة يخاف الحريّة وهو سجين لذاته وهواجسه، فساهم ذلك بشكل مباشر في تعزيز الشّعور بالاغتراب، إذ أصبحت القناعات والحريات شيئا هامشيا وأضحى الفرد جزءا من الحشد الذّي يُساق بعصا واحدة وعليه أن يمتثل دون تساؤل، وبذلك تنتشر المغالطات الذّاتيّة وما يُسميه فروم ب"فكرة الوعي الخاطئ"، حيث يعتقد الفرد بأنّه سعيد رغم أنّ حياته بائسة وذلك نتاج لوعيه الخاطئ، ولديه انطباع بأنهُ حر وأنّك تمارس الحريّة لكن وعيك الخاطئ هو الذّي رسم لك الاغتراب والعبوديّة على أنها حريّة، ومنه تُشتق فكرة الاستلاب.

انفصال الإنسان عن الطّبيعة والأشياء من حوله أو ما سماه فروم "الاصطباغ بالنزعة الفرديّة" تنمو فيها فردانية الإنسان من خلال وعيه بهذا الانفصال وجعلها خيارا منهجيا وحياتيا، يجد فيه الفرد راحة العيش بقناعاته ووعيه وتصوّراته حول المواضيع، بالمقابل يعيش ذلك الشعور بالوحدة والعُزلة وفقدان الشّعور بالأمن الذّي كانت توفره الأشياء من حوله ومع الطبيعة، تلك الوحدة والتلاؤم مع الطبيعة التي صدّعها وعي الإنسان وخلق منها نوعان للإنقسامات:

<u>انقسامات وجوديّة</u>: حيث يعتبر الموت والوعي بأن الموت هو النهاية، يخلق ذلك نوعا من الشعور بالخوف والعزلة، وذلك الشعور ركّزت عليه الأديان وحاولت علاجه من خلال فكرة الخلود والجزاء.

والاغتراب كمفهوم، له دلالات عدة ومختلفة الأصول والأسباب، إنما يمثل نمطاً من تجربة يشعر بها الإنسان بالغربة عن الذات، فهو لا يعيش ذاته كمركز لعالمه وكصانع لأفعاله ومشاعره. ومعاني الاغتراب متعددة اجتماعية ونفسية واقتصادية يمكن إجمالها بانحلال الرابطة بين الفرد والآخرين، أي العجز عن احتلال المكان الذّي ينبغي على المرء أن يحتله وشعوره بالتبعية أو معنى الانتماء إلى شخص أو إلى آلية أخرى، بحيث يصبح المرء مرهوناً بل وممتلَكاً من سواه، وهو ما يولد شعوراً داخلياً بفقدان الحرية والإحباط والتشيؤ والانفصال عن المحيط الذّي يعيش فيه.(ابراهيم الحيدري، 2007، ص 122)

انقسامات تاريخية: هذا النوع من الانقسامات ليس جزءًا ضروريًا من طبيعة الوجود الإنساني، ولكنها من صنع الإنسان، وهي، على عكس الانقسامات الوجودية، قابلة للحل، مثل التناقض المعاصر بين وفرة الوسائل التقنية للاغتباط المادي والعجز عن استخدامها من أجل السلام ورفاه الشعب حصرًا (حسين جبار، ص 115).

ولإنهاء حالة الاغتراب، يطرح فروم مفهوما جديداً لنمط الحياة هو مفهوم " الكينونة "، كمقابل لمفهوم " التملك " . ولا يمكن أن ينمو نمط الكينونة إلا بقدر ما يتقلص نمط التملك الذّي هو نمط اللاكينونة، إن الأمر يتطلب نبذ الأنانية وحب الذات، بحيث يتحول نمط الامتلاك إلى نمط التعمق والالتحام.

وللانتقال إلى نمط الكينونة يقترح فروم جملة أولية من المبادئ تذكرنا بمبادئ بوذا هي (معاذ قنبر، 2018، ص 214):

1- المعاناة مع الوعي بأننا نعاني.

2- الكشف عن الأصل في الحالة السيئة التي نعانيها.

3- أن نؤمن بأن ثمة مخرج من حالنا تلك.

4- أن نقبل فكرة أنه لكي نتجاوز تلك الحالة فإنه يجب علينا أن نتبع طرائق معينة في المعيشة وأن نغير ممارساتنا الحياتية الراهنة. فالهدف من الحياة التي توافق طبيعة الإنسان في حالة وجوده هو أن يكون قادراً على الحب، وقادراً على استخدام عقله، وقادراً على أن يكون موضوعياً، ومتواضعاً، كي يبقى على تواصل مع الواقع خارج ذاته، وداخل ذاته، دون أن يفضي ذلك إلى التشوه.

إن علاقة الفرد بالعالم يجب أن تُحافظ على خصوصيته وقناعاته في إطار الضبط الاجتماعي الذّي يمارسه المجتمع على الأفراد، فلا يجب أن ينصاع الفرد لهذه الضغوطات أو أن يخضع لجملة الاملاءات الاجتماعيّة بل عليه أن ينمي ذاته وأن يُكمّل شخصيته من خلال إيمانه بقناعاته ومحاولة الترويج لها حتى لا يبقى في اغتراب وعزلة.

6. التحليل النفسي والدّين عند فروم:

إريك فروم من موقعه كمحلل نفسي فرويدي- ماركسي لم يشأ لنفسه إلا الانخراط في هذا الجدل عبر المزج بين الطرحين الفرويدي والماركسي في تفسيرهما للسلوك الإنساني، في مرحلة أولى، ثم تجاوزهما وفق تأويل أنثروبولوجي يحتوي الطرحين معًا لفهم العالم الاجتماعي- النفسي في مرحلة ثانية. إن سيغموند فرويد (1856- 1939م) في نظر فروم لم يتجاوز الرؤية السطحية الاختزالية المبنية على أساس بيولوجي- فسيولوجي في تفسير دوافع الإنسان وحاجاته. كما أن كارل ماركس (1818 – 1883م) لم يكن بدوره موضوعيًّا بما فيه الكفاية، بتغليبه كِفَّة الجانب الاقتصادي في تفسير سلوك الفرد وسير المجتمعات عبر تاريخها، فطبيعة الإنسان في رأي فروم مزيج يضم إلى جانب الجوانب البيولوجية والنفسية والاقتصادية جوانب اجتماعية وسياسية وحضارية وأنثروبولوجية وجب اجتماعُها وتكاملها لبلوغ هذه الطبيعة ومعرفتها، واستكانت الدوافع الأساسية للسلوك البشري(نور الدّين غزوان، 2018، ص5).

وناقش فروم أربعة متغيرات للدّين وتأثير التحليل النفسي والحضارة الحديثة على الدّين:

1.6- الجانب الشعائري: في الجانب الشعائري تتشابه كثيرا الشعائر والطقوس الدّينية مع الطقوس القهرية في حالات العُصاب وتختلفان في الإحساس اللاشعوري، بحيث يلعب الدّين دور المُحفّز ويعطي الشعور بالراحة بينما في حالات العصاب تعطي حالة من الشعور بالذنب مثلما يحصل في طقوس الاغتسال القهري، فالإنسان دوما ينجذب للجماعة والطقوس الجماعية التي تفرض نفسها عليه، وليّعبّر فيها عن ولائه لقيم سائدة بأفعال وحركات وتمتمات يشاركها مع الآخرين ولا يهم إن كانت تلك الطقوس معقولة أو غير معقولة، فالإنسان ابتكر

طقوسا كالتحية والتصفيق وبعض الحركات التي أصبح يشاركها مع الجماعة وقد تنشأ طقوس أخرى مثلما بدأت تنشأ في مواقع التواصل الاجتماعي.

2.6- الجانب المتعلّق بدلالة الألفاظ وتطورها: حسب فروم فالأديان تستخدم لغة الرموز أو التعبير عن التجارب الباطنية وكأنها حسيّة فعلا، واللغة الرمزية هي اللغة التي يتعارف عليها كل الجنس البشري ويستخدمها في الأساطير منذ خمسة آلاف سنة وهي لغة الأحلام عن المعاصرين، هذه اللغة الرمزية التي أوّلها سيغموند فرويد إلى دلالات جنسيّة في مجملها، كما أنها لا تختلف عن لغة الأساطير القديمة والدّينية.

3.6- الجانب التجريبي: هو الجانب التجريبي بالنسبة للعاطفة الدّينية، فالغاية المشتركة بين الأديان هي العناية بالروح والإنسان، وفتح المجال لقدراته العقليّة والعاطفية، وأن يساعد وعي الإنسان في الثقة بنفسه متواضعا في نفس الوقت وهذا ما يخدم التجربة الدّينيّة الحقيقيّة، فالدّين هو تجربة خاضها الإنسان قديما ومازال يخوضها بكل تجلياتها وآثارها رغم أنها تجربة غامضة وبحاجة إلى تفسير وتفكيك، فهي تجربة إنسانيّة خالصة، بدأت هذه التجربة بالاحتكاك بالطبيعة، ما يُحيط به من جهة، وطبيعته الحيوانية من جهة أخرى "ليستسلم للطبيعة بما صنعته يداه في شكل أقانيم من ذهب أو فضة أو خشب، أو يستسلم لأناس آخرين" (إيريك فروم، 2003، ص41.) فالإنسان هو الكائن المتديّن ولا غيره متديّن.

4.6- الجانب العلمي: أو ما يسميه كذلك بالجانب السحري، ويمثل محاولة الإنسان الدائمة والمستمرة للسيطرة على الطبيعة والمحيط عن طريق العلم،حيث يرى فروم أنه كلما زادت المعرفة العلميّة قلّت الحاجة للدين وتفسيراته الخرافية.

يؤكّد فروم أن فرويد لا يقل أهميّة عن فلاسفة التنوير وعصر النهضة الأوروبيّة في الكثير من مؤلّفاته خاصة كتاب "الإنسان لنفسه"، ويعتبر أن فرويد واصل الأعمال العظيمة التي قام بها بوذا وسقراط وغيرهم "والتي تقوم على الإيمان بالحق كقوة تساعد على التحرر وعلى أن يكون الإنسان فاضلا" (Eric Fromm , 1967, P 35).

7. فروم وفرويد:

يؤكّد فروم أن فرويد لا يقل أهميّة عن فلاسفة التنوير وعصر النهضة الأوروبيّة في الكثير من مؤلّفاته خاصة كتاب "الإنسان لنفسه"، ويعتبر أن فرويد واصل الأعمال العظيمة التي قام بها بوذا وسقراط وغيرهم "والتي تقوم على الإيمان بالحق كقوة تساعد على التحرر وعلى أن يكون الإنسان فاضلا" (Eric Fromm , 1967, P 35).

ويرى إيريك فروم أن فرويد يُعارض الدّين باسم الأخلاق ويربط الدّين صراحة بالوهم، فالدّين عند فرويد ينشأ في مرحلة مُبكرة من حياة الإنسان أين يكون فيها غير قادر على استخدام عقله في تفسير القوى الخارجية والطبيعيّة، وقواه الداخليّة أيضا، فيبدأ مرحلة الكبت والتسييس بمساعدة "العواطف المُضادة" فيبدأ الوهم من هنا بالظهور والذّي يستمد قوته من خبرة الإنسان في الطفولة، وتخلي الإنسان عن الوهم الدّيني يجعلهُ مثل الطفل الذّي غادر بيت الأب.

قارن فروم بين العلاقات الإنسانية بالمعنى الفرويدي وعلاقات السوق، باعتبار ان السوق هو مكان تبادل العلاقات الاقتصادية وإشباع الحاجات البيولوجية، حيث تصبح العلاقة مع الرفيق وسيلة لغاية. كما وقف فروم ضد تشاؤمية فرويد وضد مفهومه لغريزة الموت وقارنها بالحاجة الى التدمير، تلك الحاجة التي أهملها فرويد في كتاباته المبكرة، التي لم تكن كافية لتوضيح الناحية البيولوجية، والتي لا تتطابق مع الحقائق العلمية، كما ان أهمية غريزة الهدم والتدمير عند الفرد والجماعات والطبقات تبرهن على وجود اختلافات

كبيرة بينهم. ومن هنا فإن قوة غريزة الهدم والتدمير عند الطبقة الوسطى في أوروبا غير متشابهة، وهي أكثر اختلافاً لدى الطبقة العاملة وكذلك لدى الطبقات العليا(ابراهيم الحيدري، 2007، ص 123).

في عودته إلى ماركس وفرويد، طوّر فروم مفهوم الاغتراب وربطه بتجاربه ومعالجاته السريرية منطلقاً من نقطة مركزية مهمة أكدت الترابط الجدلي بين الإنسان والمحيط، مع ربط كل ذلك بتوجيه أخلاقي ونفسي، ليس وليد الصراع الاقتصادي كما عناه ماركس وليس نتاج الصراع الجنسي كما عناه فرويد، وإنما هو نتاج أمور وجودية شخصية الطابع، اجتماعية المنشأ، وضعها في إطارها الإنساني الأوسع (ابراهيم الحيدري، 2007، ص 123).

7. خاتمة:

إنّ النزعة الماركسيّة بدت واضحة على فكر ايريك فروم في توجّهاته الفلسفيّة وقراءته للواقع الاجتماعي من خلال المفاهيم الماركسيّة التي استخدمها في كتاباته، على غرار مفهوم "الاغتراب" والذي كيّفه مُستعيناً بمفاهيم رائد مدرسة التحليل النفسي "سيغموند فرويد"، وتأثّره بالمدرسة النقديّة "فرانكفورت" والتي جاءت كرد فعل للمدرسة الوضعيّة، رافضة بذلك كل تلك التأويلات الوضعيّة للأشياء والمواضيع.

إنّ الفكرة الأساسيّة التي حاول فروم من خلال فكره خاصة النقديّ للمجتمعات المُعاصرة وطريقة العيش فيها من خلال التركيز على فكرة الاغتراب، اغتراب الإنسان عن الآلة والأفكار وما صنعت يداه، يتحوّل فيها إلى سلعة تُستخدم في هذه المنظومة، لذلك انتقد فروم هذه النزعة التي وصفها ب"الدّينية" تتشكل فيها كلّ أركان العبادة والطقوس والممارسات، وركّز على النزعة الإنسانية ، حاول فيها اقتراح أسس ومعايير إنسانية بعيدا عن الاتجاه المادي والوضعي وفلسفات الحداثة وما بعد الحداثة في التفكيك والبنيويّة.

كما اهتم ايريك فروم كثيرا بتصنيف الأديان، وأعطاها أشكالا، أديان تعتمد على عبادة السلف والإفراط في محاكاة واقعهم، وديانة ترتبط بالطوطم بشكله الحديث وليس التقليدي، ودين يعتمد التشدّد في النظافة، كما حاول أن يُسقط مفهوم الوثنيّة على المجتمعات المعاصرة في عبادة الآلة والتقنيّة والتنظيم.

ومن خلال تصنيف فروم ووصفه للأديان، قسمها عموما إلى ديانات متسلّطة تمارس السيطرة على الأفراد وتوجب الطّاعة والإجلال والعبادة، وأديان إنسانية محورها الإنسان وطاقته وقدراته باعتباره الكائن الوحيد العاقل والفاعل، ولا قداسة للأشياء دون قداسة للإنسان.

وسواء كنا متدينين أو لم نكن، وسواء اعتقدنا في ضرورة قيام دين جديد، أو فى دين بغير دين، فإننا من خلال اهتمامنا بالجوهر لا الأهداف الخارجية، وبالتجربة لا الكلمة، وبالإنسان لا الكنيسة، سنمضى في الطريق إلى مزيد من التواضع والحب الأخوي" هكذا ينادى فروم في مجمل حديثه.

الإحالات والمراجع:

1. ابراهيم الحيدري، مدرسة فرانكفورت والتحليل النفسي... فروم بين ماركس وفرويد، دار المتوسط، العراق، 2007، ص 122
2. ايرك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص 134
3. إيريك فروم: أن تملك أو أن تكون؟ تعريب وضحاء فخري، بيسان للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 2014، ص193.
4. إيريك فروم: ثورة الأمل، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد،ط1، دار الكلمة ، 2010، ص101.
5. إيريك فروم، الإنسان المُستلب وآفاق تحرّره، ترجمة حميد لشهب، الرباط، 2003، ص42.
6. إيريك فروم، الإنسان المستلب وأفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، الرباط 2003، ص41.
7. ايريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرّره، مرجع سابق، ص 94.
8. إيريك فروم، التحليل النفسي و الدّين، ترجمة محمود منقذ الهاشقي، الطبعة الأولى، دار الحوار، 2012، ص87.
9. حسين جبار، "إيريك فروم: نموذج المفكر الإنساني"، في مقالات فلسفيّة، العدد 54، ص 115.
10. حميد لشهب، إيريك فروم: الإنسان المستلب وأفاق تحرره، الرباط 2003، ص08.
11. عبد الجليل، أحمد، قراءة في فلسفة الدّين، ط2، دار النشر الحريّة، لبنان، بيروت، 2016، 112
12. كرومي، عبد الحكيم،من التملّك إلى الكينونة: من أجل مجتمع جديد، دار النشر النور، الاسكندرية، مصر، 2015، ص12
13. معاذ قنبر، الاغتراب في التّحليل النفسي (نموذج فرويد – يونغ – فروم)، منشورات الجمعية الكونية السورية، دمشق، 2018، ص 214.
14. نور الدّين غزوان، ابرك فروم ناقدا، في مجلة رؤى فكريّة، العدد 14، 2018، ص5
15. Erich Fromm, La peur de la Liberté, Parangon Situations Et Critiques, 2011
16. Eric Fromm, Man For Himself, Rout ledge and Kegan Paul Ltd, London, 1967, P 35.
17. قاسم حسين صالح، سيكولوجيا الدّين عند اريك فروم، 2016 ، https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=16598 (consulté le 14.01.2020))
18. https://www.ishtartv.com/viewarticle,28665.html (consulté le 25.11.2019)